لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

الجزء ٩ من السنة ٧ عن شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٩

الحالة الاجتماعية

للعشائر العراقية

L'état social des tribus irâquiennes

انا نقدر كل التقدير مساعي الكاتب المتفنن السيد الحسني لانه لا يكتب في بحث الا يتحرى بنفسه الامور ثم يدونها. بيننا هناك اناس يجيلون اقلامهم في ميادين لا يعرفون منها امرا ثبتا . ولسنا نحن وحدنا نقر له بهذا الفضل بل وجدنا غيرنا يعترفون له بهذه المزية. فقد جاء الينا الجزء الاخير من «معلمة الاسلام» فرأينا في مادة « ميشان » اسم كاتبنا مكررا مرارا مستشهدين ما كتبه في لغة العرب وما دونه في كتابه رحلة في العراق فعسى ان تقدير العلماء لمقالاته يحدو به الى اتمام ما بدأ به ليكون فخرا لديارنا ولغتنا (ل . ع)

توطئة

يؤخذ من الاحصاء الرسمي ان نفوس العراق تربو على ثلاثة ملايين نسمة معظمهم من ابناء العشائر التي تقطن القفـــار والارياف . وهم قسمان : قسم رحال اي يتنقل من محل الى آخر طلبا للعشب والكلأ . وهؤلاء اصحاب ابل وغنم

وليست لهم مساكن او منازل معينة بل يتنقلون بخيامهم ومواشيهم الى وجدوا الكلأ . وقسم متوطن له منازل واراض معينة ويرتبط بالحكومة بروابط وثيقة وهؤلاء اصحاب زراعة وفلاحة وهم اكثر السكان في العراق ولهم عادات واخلاق وشمائر تختلف كثيرا عن اخلاق وعادات وشعائر سكان المدن وتراهم في كل قضاء من اقضية العراق او ناحية من نواحيه . وهذا الفصل يبحث عن الحالة الاجتماعية للعشائر العراقية المتوطنة فقط .

المساكن

تختلف مساكن العشائر باختلاف المحلات والاولية . وهي من حيث العموم تقسم الى قسمين عامين مساكن العشائر التي يكثر عندها الشلب (الارز بقشوره) ومساكن العشائر التي لا تتعاطى زراعة الشلب او ليس لها مستنقعات جسيمة يكثر فيها القصب والبردي فالاولى تقطن عرائش فسيحة يقال لها صرائف (جمع صريفة) وهي تتقوم من عمد كثيفة من قصب ملفوف لفا محكما يدعى الواحد منها (حنية) وفوق هذه الاعمدة حصران (جمع حصير) مفروشة فرشا اسطوانيا تقوم مقام الاجر في تظليل المنزل، وهي على نوعين : نوع يسكنه الافراد وتكون مساحته بين الـ ١٢ والـ ١٥ مترا طولا في ثلاثة او اربعة امتار عرضا . ونوع معد للرؤساء والسراكيل ومقادير مساحته تتراوح بين الـ ٢٥ والـ ٣٠ متر طولا في ٤ او ٥ امتار عرضا . والنوع الثاني يقوم عند الرؤساء والسراكيل (الدهاقنة) مقام دور الضيافة والدواوين عند سكان المدن ، يقصده الافراد في كل وقت لرفع ظلامة او قضية لهم . وينزل فيه الضيوف الذين يؤمون هاتيك الجهات اما للتنزه واما لقضاء حاجة ما . وفي هذا النوع من الصرائف تقام ايضا الولائم والافراح وسائر المراسم .

وبعض هذه الصرائف مبني على ضفاف الانهر تكتنفه نخيل كثيرة ويتخلله النسيم العليل فاذا صار المساء وكانت الموسم قيظا ، خرج الرؤساء والافراد والضيوف الى جوارها فيجلسون على بسط وطنية ممدودة على الارض بشكل مربع او مستطيل وفي وسطها او في زاوية منها كانون القهوة يلتهب النهايا والناس ما بين محدث ومسامع اذا دخل احدهم تقدم الى الشيخ للتسليم عليه او تقبيل يديه

حسب درجة القادم — فيقابله الشيخ بالقيام على القدمين ثم يأذن في ان يجلس في المحل المناسب له ويأتي القهوي فيصب له فنجانين او ثلاثة فناجين من القهوة .

هذا هو وصف منازل العشائر التي يكثر في اطرافها القصب والبردي فيتخذون منها مساكن لهم كما اسلفنا . اما التي لا تملك ذلك فبيوتها مبنية من اللبن بشكل اكواخ صغيرة حقيرة لا ينفذ فيها الهواء إلّا قليلا . ودواوين الرؤساء والشيوخ منهم على هذا النمط ايضا ولكنها افسح منها بكثير لان مقادير مساحة النوع الاول تتراوح بين الـ ٥ والستة الامتار طولا في متر او متر ونصف عرضا اما مساحات النوع الثاني فتتراوح بين الـ ١٠ والعشرين مترا طولا سبع او ثمان امتار عرضا .

اما مساكن الشيوخ — او قصورهم على اصطلاحهم — فهي على وجه العموم مبنية بالاجر وهي متوسطة العمران والسعة تقطن فيها اهالي الشيوخ فقط وكثيرا ما تكون مجاورة لدواوينهم . وبعضهم قصور حجرية فخمة مبنية على الطراز الصحي الحديث ومؤثثة بأفخر الاثاث والاعداد .

ولا بد لكل مسكن من مساكن الشيوخ من مفتول يقام الى جنبه يتخذونه وقت الحروب مربأ ومقذفا يتحصن فيه بعض الافراد . وهو مبني عادة في سهل واسع بشكل برج مستدير يصعدون الى قمته بدرج لولبية من داخله كانها مفتولة فتلا . والمفتول يشبه البتيل عند الاقدمين . (راجع لغة العرب ٦ : ٢٤٤)

اللابس

تتجلى السذاجة في لباس العشائر العراقية باجلى مظاهرها . وانك لا تستطيع ان تجد فروقا جوهرية بين البسة جميع الافراد على السواء . ولباس الفرد عندهم يتقوم من جلباب (دشداشة) يعملونه اما من الخام او من صوف الغنم . والثاني اكثر شيوعا بينهم في الوقت الحاضر ويسمونه (زويني) بالتصغير والنسبة . ومن كوفية وعقال وعباءة . والعقال والعباءة من المنسوجات الوطنية الكثيرة في العراق . ولا بد من شد نطاق على الجلباب يسمونه «الحزام» يضمون فيه خنجرا او مقوارا . والخنجر معروف واما المقوار فهو الدبوس او البراوة وفي رأسها الواسع كتلة من القير المتصلب ومن ذلك اسمه . والخنجر والمقوار هما من الادوات

الحربية المهمة عند العشائر في كل وقت ولا يستطيع ان يستغني عنهما احدهم .

والرؤساء لا يختلفون عن الافراد بلباسهم إلّا من حيث جودة القماش ونفاسته على ان فيهم من يضيف الى الجلباب قبلا يسمى عندنا بـ « الزبون » والاحذية لا تكاد توجد عندهم اذا استثنينا من ذلك الرؤساء وبعض السراكيل .

واما النساء فيكتفين بدراعة سوداء (بفستان اسود) ومقنعة يسمونها فوطة يلففنها فوق الرؤوس فتغطي الرقبة . ولبعضهن حجول فضية وفي اعوافهن خزامات ذهبية وفي ايديهن معاضد من زجاج وفي آذان بعضهن اقراط من ذهب وغير ذلك من سائر انواع الحلي .

الطعام

يحرث الفلاح العراقي المسكين ارضه وينثرها ثم يوجه عنايته الى الزرع فيسقيه ويحافظ عليه حتى اذا احصد اكتفى بشيء زهيد من ذلك الزرع العظيم . وهذا ما جعل طعامه — بالطبع — بسيطا كل البساطة لانه لا يتجاوز نوعا من الذرة يسمى « ذكانا » يحمرونه على احجار كبيرة مدورة يقال لها (طابق) مع شيء من الارز يطبخونه بلا سمن احيانا وقليل من التمر المبتذل فاذا نظر المدني الى هذا الطعام وبساطته ، غثت نفسه .

والفلاح المسكين قانع وراض بهذا العيش الساذج والطعام البسيط الطعام الذي لا يغذي الجسم اولا البان المواشي التي تكثر في هاتيك الربوع ولولا عذوبة الهواء وحرارة الشمس وصفاء الجو وغير ذلك من الاشياء الطبيعية التي تساعد الجسم على النمو نموا حسنا ، اما طعام الرؤساء والسراكيل فيختلف عن طعام الافراد كل الاختلاف . فعندهم من افخر الارز والسمن مايكاد يكون مبذولا اكثر من الحاجة اليه . وكذا الالبان وبعض الخضراوات التي تنقل اليهم من جهات نائية ان لم تكن في اطرافهم . وبعضهم يستعمل المشروبات الروحية كما يستعملها سكان المدن بل اكثر منهم .

وعندهذا الفريق من الشيوخ والرؤساء تجد انواع الفواكه الوطنية والاجنبية وسائر ما يقتضي للمائدة من اثاث بانواعه المختلفة وخضراوات جميع الضروب وسائر المطعومات . واذا قصد زائر هاتيك الجهات رحب به الافراد والسراكيل

والشيوخ ترحيبا عظيما ولا سيما اذا كان مدنيا (افنديا) تلوح على محياه آثار النجابة والوقار فانه يصادف من العز والاكرام مالا يصادفه بين اهله وخلانه. ويقدمون اليه من انواع الطعام والشراب ما لذ وطاب . وهذه الحالة لاتختص بعشيرة فحسب بل تشمل جميع العشائر من شمالي العراق الى جنوبيه . وكثيرا ما يستفيد الافراد فوائد من مثل هؤلاء الضيوف الذين ينزلون على شيوخهم لانهم يأخذون فضلة الطعام الكثير الانواع الذي يقدم الى الضيف بعد ان يأكل منه حاجته فيتلذذون ويتنعمون به كثيرا .

العشائر الدينية

بذر صاحب الرسالة (ص) تعاليمه بين اقوام لا تعرف للمدنية شيئا ولا للثقافة اسما واستمرت حركة التشوء والارتقاء بين هذه الاقوام حتى هذبتها وثقفتها . ولا يزال في جزيرة العرب اقوام كثيرة محافظة على الفطرة الاولى ومن المعلوم ان احتكاك الشعوب بعضها ببعض من شأنه ان يورثها تغييرا في الآداب والمعتقدات فالاقوام التي دخلت معترك الحياة وتنازعت اسباب الوجود اخذت من الحضارة شيئا كثيرا . اما الاقوام التي لم تتنازع اسباب الوجود فقد ظلت متمسكة بعاداتها وتقاليدها كما كانت في بادئ الامر .

والعشائر العراقية ـ شأن بقية العشائر ـ بقيت متمسكة بآدابها الدينية تمسكا وثيقا لانها لم تختلط بسكان المدن إلا قليلا وفي فترات معينة لم تمكنها من الاطلاع على التطور الذي حدث في المدن . ولهذا كان الدين منتشرا بين افرادها انتشارا عظيما ويقيمون لشعائره مراسمها في أوقاتها .

ويجول بين معظم العشائر العراقية جماعة من النجفيين يدعون (موامنة جمع مؤمن) ويكون سيدا او شيخا يقصدون تلك الجهات لاقامة المراثي لسيد الشهداء الحسين بن علي (ع) وبعضهم يدربون الافراد على تفهم الصوم والصلاة ويحرضونهم على اداء الزكاة وحج بيت الله الحرام وغير ذلك من الامور الدينية المعروفة .

المعارف

اشتهر العراق في العصور المتصرمة بمعارفه وآدابه وفنونه شهرة عظيمة

وبقيت جنان العلم ورياض الادب زاهية فيه زمنا طويلا الى ان دخلت الدولة العباسية في دور الانحطاط والاضمحلال فتداعت صروح الثقافة والتهذيب وبدأ العراق يسير القهقرى زهاء خمسة قرون لم يشيد فيها مدرسة عالية ولم يقم فيها معهد علمي شهير ولكن الحرب التي اثارها الجشع الاستعماري في الشرق وفي الغرب مما نبهت الشعوب الضعيفة من رقدتها وخلقت فيها حركة علمية واسعة كان للعراق منها نصيب لا يستهان به .

هذا هو شأن المعارف في المدن بالطبع اما في الارياف فليس كذلك ان في الماضي وان في الحاضر لان الامية ضاربة اطنابها في ربوع العشائر العراقية انى ذهبت وانك لا تستطيع ان تجد بين ظهراني العشيرة الواحدة غير شخص واحد يحسن القراءة والكتابة ولو كثرت افرادها وهم يسمون هذا الشخص (ملا) وهو يؤدي خدمات كتابية لشيخ العشيرة للقاء مرتب معين . وقد شرعت الحكومة في السنوات الاخيرة تنشيء بعض المدارس في الارياف فاذا استمرت على ذلك مدة من الزمن فستخلق حركة علمية عظيمة في الارياف العراقية . على ان بين شيوخ بعض العشائر واولادهم من يحسن القراءة والكتابة .

الغزوات

تأصلت عادة الغزو في نفوس العشائر منذ اقدم الازمنة فقد كانت الى ايام الاحتلال البريطاني منغمسة في لذيذ الغزوات لا يمر اسبوع إلّا تسمع ان القبيلة الفلانية أغارت على العشيرة الفلانية وان قبيلة فلان فتكت بقبيلة فلان... وهلم جرا . ولكن بعد ان انتظمت شؤون الحكومة العراقية ورغد عيشها ضعف امر الغزوات بل كاد يكون نسيا منسيا لان السلطة مهيمنة على جميع شؤون القبائل لا تترك صغيرة ولا كبيرة من شؤونها تمر دون ان تكون لها اصبع فيها .

وللغزوات اسباب وجيهة بالطبع . فالعشيرة التي تغتصب ارض عشيرة ثانية أو تجر ماءا من نهر لها بلا اذن منها او تسلب زرع غيرها تعرض نفسها للغزو . كما انها اذا جنت جرما او جانيا او فردا من افراد عشيرة اخرى ولا سيما قاتلا تعرضت لبلية الغزو . ولهذا ترى افراد العشائر مجهزين بالسلاح دائما وابدا حتى لقد عجزت الحكومة عن جمع السلاح بالمرة . لانها كلما جمعت شيئا

ابتاعت العشيرة بدله بل اكثر منه .

وقاعدة الغزو ان يرفع شيخ العشيرة علما خاصا فوق منزله اعلانا للنفير العام فيجتمع الافراد حول المنزل بينادفهم وخراطيشهم وهم يرتلون الاهازيج المهيجة والنساء يضربن لهم بالدفوف ويهللن تشجيعا لهم وينقلن العتاد والطعام وسائر ما يقتضي لابطال الوغى وكثيرا ما يتدارك العقلاء والوجوه وقوع غزوات قد تجر وبالا عظيما فتحرق الاخضر واليابس فيتوسطون لعقد مهادنة او صلح بين المتخاصمين . وهم ينجحون احيانا بهذه الواسطة اما اذا اخفقت فيشتبك الفريقان في حرب ضروس قد تدوم اسبوعا او اكثر من ذلك وفي هذه الحالة لا تفتر همم المصلحين عن اصلاح ذات البين بل يبذلون كل ما في وسعهم لاعادة السيوف الى غمودها فاذا اخفقوا ايضا : بقيت السيوف مسلتة والحرب عوانا حتى ينخذل احد الفريقين فيلتجيء الى من يحمي ذماره وعلى العشيرة التي احتمت بها العشيرة المخذولة ان تحميها بكل ما اوتيت من حول وقوة لاصلاح الحالة فاذا عجزت هي ايضا انضمت اليها لاحداث توازن في القوتين المتحاربتين قد يؤول الى ردع العشيرة التي رفضت الصلح .

اما التي ليس لها من يحميها . فتلجأ الى حصونها وقلاعها لتذود عن حياضها ذود المستميت حتى اذا نفذ عتادها ولم يبق في وسعها المقاومة سلمت امرها الى الاقدار القهارة فتستولي العشيرة الغالبة على منازل ومساكن العشيرة المغلوبة وربما اضطرت الاخيرة الى هجر الديار مولية وجهها شطر ماتيه الطمأنينة والراحة .

الفصل في المنازعات

للعشائر العراقية عادات مألوفة في الفصل في منازعاتها وقد اقرت الحكومة هذه العادات وجعلتها قانونا يسير عليه رجال الادارة في البت في القضايا التي تقع بين ابناء العشائر . ولا بد لكل احد من الخضوع للقرار الذي يصدر في قضية موقوفة بينه وبين خصم له . سواء اكان شيخا مصدر هذا القرار من شيوخ العشائر ام موظفا من موظفي الحكومة لانه مقتبس من قانون معمول به ومقبول لدى العشائر .

وهذه العادات تكاد تكون متقاربة عند جميع العشائر العراقية فالقتل وان

كلن لايبرره غير القتل بنظر الشريعة والعرف والقانون فانه كثيرا ماينتهي بفصل معين بان تعطي عشيرة القاتل عشيرة القتيل (دية) اي مالا مقررا . يه قيمة قليل من المال ايضا يحمله بعض زعماء عشيرة القاتل الى رئيس عشيرة القتيل ان قبله الثاني ، هان الخطب وانتهى كل شيء وخرج القـاتل من اراضي عشيرته مدة تربو على الخمسة الاعوام . اما اذا رفضه . وهـذا نادر لان الحكومة تشترك ايضا في الفصل فله ان يأمر بقتل القـاتل اني وجد فاذا تعذر ذلك قتل احـد اقارب القاتل في اول فرصة ممكنة . وفي هذه الحالة تحدث مشكلة قتل بريء يتضاعف فيها الفصل .

والجرح وتعطيل العضو والزنا والسرقة والنهب واتلاف المواشي ومزروعات احدى العشائر وغير ذلك من انواع المخالفات او الجرائم فصل معين تعينه تقاليد كل عشيرة وهو محترم في نظر الحكومة والعشيرة .

الدخالة

الدخالة من الامور التي تمد من مفاخر العشائر في كل حين وهي مايسميه سكان المدن بالاحتماء فيحتمي احدهم عند عشيرة غير عشيرته لتحمي ذماره وهي في هذه الحالة ملزمة بايواء الملتجئين اليها واطعامهم واكسائهم وبذل سبل الراحة والامانة لهم . وعلى رئيس هذه العشيرة ان يحافظ على حياة الملتجيء الى عشيرته ولو كلفه الامر فاذا طلبته الحكومة او عشيرة اخرى وان كان مجرما . وجب عليه رفض هـذا الطلب او تسفير الملتجيء سرا اذا تعسر عليه رفض الطلب .

واتذكر قضايا كثيرة تتعلق بالالتجاء سببت مشاكل مهمة بين العشـائر والحكومة وآلت الى عواقب سيئة جـدا وكان الملتجئون مع ذلك يتنعمون بالراحة والطمأنينة . ولولا ضيق المقام لاتينا على ذكر بعضها . ولكن معظم القراء يعرفون ذلك لانها سجية العرب المعروفة منذ عصور واحقاب كثيرة .

التحكيم

كثيرا ما تحدث اختلافات ومنازعات بين سراكيل العشائر وشيوخها حول اراض ومياه وزروع وغير ذلك . ففي هذه الحالة يتفق المتخاصمون على تنظيم

كتابخانه تخصصي
مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

جماعة محكمة تنظر في القضايا الناشئة بينهم وتبرز قرارا يلبس حلة تشريعية كالحلة التي يرتديها قرار محكمة التمييز مثلا ويقال لاعضاء هذه الجماعة (المحكمون) وللقرار الذي تصدره (حكم) .

ومجلس التحكيم (او الجماعة المحكمة) يتقوم عادة من اهل الخبرة والاطلاع من كلا الفريقين ويكون قراره نافذا وتعرض عليه احيانا بعض القضايا الهامة المتعلقة بالسلب والنهب والقتل وغير ذلك واعضاؤه غير دائمين وليس له محل معين او وقت محدود بل ينشأ وينعقد متى اضطرت الحاجة اليه . كذلك اذا حدثت خصومة عنيفة بين عشيرتين وادت الى شهر السلاح فان العقلاء يتداركون الامر بان يعقدوا مجلسا تحكيميا ينظر في الاسباب التي اوجبت تعكير الامن ويفصل في القضايا الناشئة بين الخصمين بنظر ثاقب ووجدان سليم .

احوال المرأة

اهم ما يلفت الانظار عند العشائر العراقية سفور المرأة فان الحجاب غير معروف هناك ابدا والمرأة تشترك والرجل في معالجة ابواب الرزق ، بل احيانا تفوقه وتبرز عليه في هذا الامر . فهي تحافظ على الزرع وتشترك والرجال في حصاده وتذريته وتعبئته واحيانا في تحميله ثم انها تخرج الى الارياف والفلاة النائية لتقطع الاحطاب وتحملها الى الاسواق ليبيعها وتذهب الى الاهوار لتقتلع القصب والبردي لانشاء المساكن على النحو الذي المعنا اليه وكثيرا ماتقضي الليالي الطوال في جرش الشلب وتنقيته وطحن البر لاتخاذ الخبز منه وبعضهن ينهمن الى مجارش التجار والمشمولين فيشتغلن لقاء اجرة معينة . والمرأة عدا كل ما تقدم ، تغزل الغزل وتنسجه وتحوكه احيانا . وهي على وجه العموم تقوم باعمال واشغال شاقة متعبة تفوق اشغال واعمال الزوج .

والذي يتأمل حالة المرأة الريفية ويقابل بينها وبين حال المرأة المدنية يجد البون بينهما شاسعا . فالاولى حافية سافرة مكتفية بجلباب اسود مع مقنعة رثة لتستر رقبتها تشتغل ليلها ونهارها في تأمين حاجات بيتها لا تعرف الكلال ولا الملل وكثيرا ما تقوم مقام زوجها في الترحيب بالضيوف وانزالهم واطعامهم وتأمين راحتهم وتسفيرهم . اما الثانية فجالسة على عرشها في بيتها لاتقوم باكثر

من ادارة بيتها وغسل ثيابها ولا تخرج من دارها إلّا للضرورة . واذا خرجت تحجبت بحجاب كثيف . لا تستطيع ان تكلم غير زوجها واقاربها ولا يمكنها ان تختلط باي كان .

والذي يقتل بغيا من العشائر لا يعاقب على جرمه متى اثبت بغيها . ومن احب امرأة عندهم جاز له ان يتزوجها على ان لا يتخلل الحب مايدنس العفاف والذي يتعدى على عفاف المرأة يعرض نفسه لقصاص (الفصل) وللمرأة ان تتزوج بزوج ثان وثالث اذا كان قد طلقها زوجها او مات . كما ان للرجل ان يتزوج من النساء ما طلب له متى وثلاث ورباع وهم كثيرا ما يتزوجون من نساء يؤخذن في (الفصل) مع القراهم وذلك في حالات القتل او غيره من الجنايات .

هذا وصف موجز لاحوال العشائر الاجتماعية نرجو ان يجد فيه القارئ ما يكفيه عن الازدياد منه .

السيد عبدالرزاق الحسني

حرف الضاد

واللغة المالطية

Contribution à l'étude de la philologie arabe.

ليس مقالتنا هذه بحثا عن اصول اللغة المالطية ولا عن مقابلتها باللغة العربية وقواعدها ولا عن تاريخ تشبع المالطي باللسان العربي بل هي كغيرها من مقالاتنا في اللغة السامية — لا تتجاوز الملحوظات — نعرضها على المشتغلين باللغة العربية من قبيل ادلائنا دلوا بين الدلاء لعل ابحاثنا تمهد سبيلا يسلك فيه غيرنا سعيا وراء شوارد اللغة . فنقول :

من المبادئ اللغوية المتفق عليها ان حرف الضاد خاص بلغتنا العدنانية ولذا دعي العرب (او بتعبير اوسع المتكلمين باللسان العربي) الناطقين بالضاد .

والضاد كما تعلم « دال » مفخمة وربما كان لفظها بالتخفيف كانها « ذال »